المحاضرة الثالثة

د. حسناء أقدح د. سراب يازجي

النّثر الأندلسي

مضمون المحاضرة

- مناظرة بين الورود والأزهار والرّياحين/ لابن بُرد الأصغر.

مناظرة بين الورود والأزهار والرياحين/ رسالة لابن بُرد الأصغر

❋ من الموضوعات التي تناولها الأدباء في مناظراتهم {**المفاضلة بين الورود والأزهار**}، **وقد برع الأندلسيون في هذا الفن الوصفي** وتفنّنوا في إجراء المحاورات بين الأزهار.

❋ **وهذا النّوع من المناظرات ليس جديداً في الأدب العربي** فقد **عُرف في العصر العباسي**، وإنْ لمْ يَصل إلى الكثرة التي وصل إليها على يَد الأندلسيّين، فقد وصف الشُّعراء في العصر العبّاسي الأزهارَ، وتفنَّنوا بجمال الرَّبيع، **ويُعَدُّ ابنُ الرّومي أوّل من ابتكر المناظرات الخياليّة** بين الورود والأزهار، وفتح باب المفاضلة بين الوَرد والنَّرجس.

❋ هذا الموضوع الذي **اتّسع فيما بعد على يَد كُتّاب الأندلس نثرًا**، فقد ضَمّ النّثر الأندلسي ألوانًا متعدّدة من المناظرات بين الأزهار **جاءت بـ:**

أسلوب قصصي.	**الاعتماد على الابتكار والطّرافة.**	**استخدام الأمثال والحِكَم.**
تدعيم النّثر بالشّعر.	**الاقتباس من القرآن الكريم.**	

❋ **وفي كلّ مناظرة كان يميل الكاتب إلى تفضيل نوع من الأزهار** على سائر الأنواع الأُخرى، **حتى أصبحت صفة شائعة في مناظراتهم**، وممّا أكثر الأندلسيّون في وصفه أزهار (**الورد، والبهار، والياسمين، والنّيلوفر**).

❋ الجدير بالذِّكْر أنَّ الورد قد غطّى مساحات واسعة في بلاد الأندلس، لذا فإنّه قد شغل حيّزًا كبيرًا في أدبهم، فاحتلّ مرتبة الصّدارة في نفوسهم، وكان لغرام الأندلسيّين بالورود، وإعجابهم بمنظره وكثرته في بلادهم، وخصوصًا في قرطبة؛ أنْ **حملت منطقة في ضواحي قرطبة اسم (جبل الورد)** كما يشير إلى ذلك (**هنري بيرس**).

المناظرة من حيث المضمون

مَن الكاتب؟	أبو حَفْص ابن بُرد الأصغر.
مِنْ أيّ عَصر؟	من عَصر ملوك الطّوائف، من أدباء القرن الخامس الهجري.
إلى مَنْ أرسلها؟	كتب مناظرته ضمن رسالة إلى الوزير أبي الوليد بن جَهْوَر أمير قُرطبة.
ما موضوعها (غرضها)؟	قدّمَ فيها الوردَ على سائر الرّياحين، **وغاية ابن برد الأولى والأخيرة إعلان الولاء والطّاعة لابن جَهْوَر أمير قرطبة، وإمتاعه نفسيًّا** بصياغة هذا الولاء بطريقة مُبتكَرة على لسان الأزاهير، **إضافة إلى ما أراد تبطينه من معنى على هذه الألسنة أنّ ابن جَهْوَر هو الأحقُّ بالرِّياسة والسُّؤدد والحُكم**، وهو ما يريد ابنُ بُرد قوله شخصيًّا على لسانه هو، ناقلًا من خلاله رأي النّاس أيضًا.
أفكار المناظرة:	♥ **الفكرة الأولى**: وبدأها بالإشارة إلى اجتماع عَقَدَته الأزهار بُغية إيجاد حلفٍ بينها. ♥ **الفكرة الثّانية**: ثمَّ قام قائمٌ منها يشكر الله على منحه لأنواع الزّهر من حُسْنٍ جعلها تُحَبُّ وتُقْتنى، ويعطي مزايا كلّ نوع من الأزهار من خلال حوارٍ شائقٍ يجري بينها. ♥ **الفكرة الثّالثة**: ويرى أنّ هنالك من يستحقّ الرِّياسة والزّعامة عليها جميعًا ألا وهو الورد الذي يتمتّع بالنَّسب الكريم والشّريف على مدى الأزمنة، بما يحمله من صفات الحُمرة مُعلّلاً ذلك بأنّ الحُمرة لونُ الدّم والدّم صديق الرّوح، لذلك هو أقربها إلى الإنسان، وبما قيل فيه من جميل الأشعار، وهو في الحقيقة يُثبت صفات ابن جَهْوَر وحقّه في الرّياسة، ويجعل كلّ من حضر مجلس اجتماع الأزهار يُدلي

	بشهادته بتقدّمه ومن ذلك: • **مثال١**: ما قاله البنفسج: {**أنا –والله – المُتعبّدُ له، والدّاعي إليه، والمَشغوفُ به كَلَفًا وكفى ما بوجهي من نَدَبٍ، ولكنْ في التَّأسّي بكأُنْسٌ**}. • **مثال٢**: ثمّ قام البَهار فقال: {**لا تنظرنّ إلى غضارة نَبْتي، ونضارة ورقي ، وانظر إليّ وقد صرت حدقةً باهتةً تُشير إليه، وعيناً شاخصةً تندى بكاءً عليه ،** **ولَــوْلا كَثــرَةُ البــاكينَ حَــوْلي على إخوانهمْ لَقتلتُ نَفسي**[1] • **مثال٣**: أمّا الخِيريّ فهو من شِدّة إجلاله يكتم أنفاسه، ولا يستطيع أن يتنفّس نهارًا، فيقول: {**والذي أعطاه الفَضْل دوني، ومَدّ له بالبيعة يَميني، ما اجْتَرأتُ قَطّ إجلالاً له، واستحياءً منه، على أن أتنفّس نهارًا، فلذلك جعلتُ اللّيل سِترًا، واتّخذتُ جوانِحه كَنًّا**}. ♥ **الفكرة الرّابعة**: ويختتم الكاتب رسالته بالإشارة إلى أنّ مجمع الأزهار هذا قد انتهى باعتماد وثيقة رسميّة جاء فيها:{**هذا ما تحالفتْ عليه أصنافُ الشَّجر، وضروبُ الزّهر، واعترفتْ بما أسْلفت من هَفواتها، وأعطتْ للوَرْد قِيادَها، وملّكتهُ أمْرها، وعَقدتْ له السَّمْعَ والطّاعة، والْتَزمتْ له الرِّقّ والعبوديّة، وبَرِئَتْ من كُلّ زهرٍ نازَعَتْهُ نفسهُ المباهاة له، والانْتِزاء عليه في كلّ وطنٍ، ومع كلّ زمنٍ**}. وهكذا كانت أزهارُ أبي حَفْص تلجأ إلى النَّقد الذّاتي، وتعترف بالخطأ، وتنحاز إلى الحقّ، فتنصّ على مُبايعةٍ فيها معنى الخضوع المُطْلَق، وتتبرّأ من كلّ من يَشذّ عن هذا العقد، أو يخرج عن بنوده بمنافسة الورد في إمارته، أو عصيانه والاجتراء عليه.

المناظرة من حيث السمات الفنيّة/ الأسلوب

① **الرّمز:**	مضمون الرّسالة لم يقف عند حَدّ وصف الأزهار والمفاضلة بينها، فقد حملَ إشارات رمزيّة إلى واقع حال الكاتب، وتطلّعهِ إلى نَيْلِ مرتبةٍ ومنزلةٍ لدى الوزير ابن جَهْوَر، من خلال مدحهِ، فرمزَ بالوَرْد إلى ابن جَهْوَر.
② **الأسلوب القصصي:**	هذه المناظرة طريفةٌ في أسلوبها وموضوعها، فالألفاظ والصّور مُستمدّة من الطّبيعة، وهي تدلّ على سَعة خيال الكاتب، وذوقه في انتقاء الألفاظ بأسلوبٍ قصصيٍّ مُمتع.

[1] هنا يُضمّن بيتًا للخنساء.

③ **الحوار:**	وفي المناظرات التي اتّخذت أنواع الأزهار محورًا لها نجد الرّمز أقرب إلى النّفس، وأصدق في التّعبير عن أحوالها، وهو يظهر جليًّا في الحوار والمنافسة التي أجراها الكُتّاب في هذه النّماذج من المحاورات والمناظرات التي وظّفها الأدباء للتقرّب إلى الحُكّام ومدحهم.
④ **البيان والبديع/ السّجع**:	اعتمد ابنُ بُرد في هذه المناظرة على ضروبٍ من البيان والبديع من دون تكلّف، فاستخدم السّجْع.
⑤ **التّشخيص:**	لجأ إلى تشخيص الأزهار؛ إذْ جعلها تنتقد ذاتها، وتعترف بأخطائها، وتعلن الولاء والطّاعة للوَرْد، كأنّ البَهارَ، والبنفسج، والخِيريّ أشخاصٌ حقيقيّون مُفعمون بالمشاعر، والحياة، والحركة.
⑥ **تضمين الشِّعر:**	ضمّنَ ابنُ بُرد مناظرته بيتًا من شِعر الخنساء، ما يدلّ على براعته في الجمع بين الشِّعر والنّثر في مناظرة واحدة، وحُسنِ توظيفه لشِعر القدماء.

الأمثلة تُحفظ كما هي بالحرف.

نعود إلى التّذكير بأنّ **السِّمات الفنّيّة هي الأسلوب، فإذا جاءت صيغة السّؤال الامتحاني بأحدهما، أو كليهما، فالإجابة واحدة.**

البيت الشِّعري المُضمّن يُكتب بيتاً شِعرياً بشَطرَيْه، فلا تنثروه فتذهب علامة المثال، إلّا إذا وردَ منثوراً في إحدى المناظرات، وهو ما يُسمّى بـ(حَلّ البيت الشِّعري).